

منهج الفارسي في التيسير النحوي
تحليل بنوي لبعض آرائه النحوية التيسيرية

رشيد حليم

أستاذ بمعهد اللغة العربية وآدابها

جامعة الطارف - الجزائر

نشأ الدرس اللغوي العربي في مناخ عربي أصيل، وترعرع في بيئة إسلامية نقية ومتوهجة، ظل القائمون على أصوله وأغراضه يستخلصونه من جوهر المحيط العربي وفضائه العقائدي، حيث أمدهم الواقع الجديد بأشكال أخرى من أفانين الفكر، أصيلها ودخيلها، وكشف لهم أستار الدراسة ومناهجها، وفسح لهم معالم البحث وأدواته.

لقد تغذى البحث اللغوي عند العرب القدامى من حاضر الثقافة الأصيلة للمجتمع العربي الإسلامي، كما اكتسب موضوعاته من أحنائها، كما استمد أساليب النظر من خارجها، وذلك بما غنمه من بحوث أخرى جذبها التواصل العلمي بين العقل العربي والفكر الوافد.

وساهم هذا التمازج المعرفي في بلورة مسارات منهجية تملكها الأوائل من العلماء، فباشروا العمل البحثي بادئ الأمر في النص القرآني باعتباره المركز المحوري الذي تلتف حوله جميع البحوث والدراسات. وهذا ليس جديدا، فقد كانت نشأة البحث اللغوي عند كثير من الشعوب مرتبطة بالنص الديني، إذ أتجهت الدراسات اللغوية عند الهنود والسريان إلى معالجة موضوعاته، وقد سبقت الدرس العربي بعهد^(١) مادة ومنهجها.

إن المنطلقات الأولى للدرس العربي قد انحازت إلى تتبع الخطاب القرآني في سبيل المحافظة على سلامة أدائه بعيدا عن غلواء اللحن، ثم لحق ذلك جهود أخرى عنيت بأغراض أخرى، فتوسعت المجالات وشملت موضوعات البيان والأسلوب، إلى جانب الميادين الأصلية الخاصة باللفظ شكلا وإعرابا وبلاغة، ونقدا، وهو مجال من مجالات النحو العربي، إذ أصبح يعني جل تلك الأغراض، وأصبح مصطلح النحاة يطلق على العاملين في هذه الحقول اللغوية^(٢).

(١) د. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، ص ١١.

(٢) محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة، دار غريب، القاهرة ٢٠٠١، ص ١٠.

متنوعة هي الموضوعات التي عني بها العلماء السابقون، فقد أصلوا لعلوم الفقه والشريعة والحديث، وتسابقوا إلى وضع أسس الدرس النحوي تأكيدا على استقلال العلوم بموضوعاتها، وجريا على صنيع ما فعل الأصوليون.

بلغت علوم العربية النضج إلى حد الاحتراق وبلغ الاعتناء النحو درجة التفحم بسبب الرعاية المتجاوزة لما ألف، ولما شرح، وفيما وضع من تلخيصات، مما أدخل على النفوس الملل وعلى المتلقين الكدر، ولم يجد المتعلم العربي بدا في منتصف القرن الرابع الهجري في استيعاب الركام الهائل للمادة النحوية، فجاء العزوف تعبيرا مفضلا عن مسايرة تلك الحركة العلمية المشهودة، مما دفع ببعض الخذاق من أكابر العربية إلى النهوض لتصحيح مسار نشاطات المد التألفي للمادة النحوية.

بلغت تلك الصحوة الألباب المتبصرة، فاندفع أفاضل العربية يللمون الأبواب النحوية في مختصرات مفيدة وجادة تصلح للنشء تتناول العربية في يسر، فألف ابن السراج (ت ٣١٦هـ) كتابه الوجيز في النحو، وسارع على منواله الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) فكتب مؤلفه الجمل، ولم يتخلف أبو علي في متابعة جهد أساتذته وتوفيتها، فخلف لنا دررا استحسناها الخالفون من العلماء، وأشاروا إلى أهمية ما عمل الفارسي الذي راعى الواقع العلمي والتعليمي للمتلقين، وتلمسه أيسر السبل لإعادة صياغة المفاهيم المعرفية واحتذاء أنجع الطرق لتبليغها، وقد سطر نهجة سديدة لمن بعده من النحويين، فزارعه في العمل ابن مالك في تسهيله وابن هشام في قطر الندى وبل الصدى.

لقد أشاد ابن خلدون (ت ٨٥٨هـ) بجهد الزجاجي والفارسي قائلا: "ثم وضع أبو علي وأبو القاسم الزجاجي كتبا مختصرة للمتعلمين يحذون فيها حذو الإمام في كتابه"^(١). ولا شك في أن ابن خلدون يعني كتاب الإيضاح لأبي علي^(٢)،

(١) المقدمة، نخ، درويش جويدي، المكتبة العصرية، ص ٥٠٢.

(٢) م، ن، ص ن.

وكتاب الجمل للزجاجي وفيهما ما قصد ابن خلدون وما قصدناه:

*- هما كتابان تعليميان

*- يغطيان المادة النحوية بأسهل الوسائط.

والحقيقة أن الفارسي لم يكن سباقا في مبتغاه، ولكن حاول أن يتم أعمال علماء سابقين، فمن قبله وضع ابن درستويه^(١) وابن السراج^(٢) مختصرات في النحو لا تصلح إلا للمتعلمين لعل أبو علي نظر إلى شيء من هذين الكتابين وتعرف على محتوياتهما، خاصة إذا علمنا أن للفارسي بهذين العالمين قرابات، فابن درستويه من بني جنسه، ويشركه أرض المولد، فهما من مدينة فيسا الفارسية^(٣) أما ابن السراج فهو أستاذه^(٤).

١- ترجمة أبو علي، ومؤلفاته في التيسير النحوي:

أ- أبو علي الفارسي: (الشخصية العلمية)

أبو علي علم من أعلام العربية الكبار أعرفهم بأصولها، وأدركهم لأغراضها، وأكثرهم تأليفا في علومها، حيث اعتلى منزلة مرموقة في ضبط أحكامها وصياغة قواعدها في حركية نشطة سلبته لذة البناء الأسري، فقد نذر زمانه للتأليف وللتدريس حتى شهد أحد الخلفاء بأنه تلميذ أبي علي في النحو^(٥).

جاء الفارسي في عصر الترف الفكري للحضارة العربية الإسلامية حين استوت جل علومها في القرن الرابع الهجري، فاندفع يؤسس لمذاهب أخرى في تعلم العربية وفي طرق البحث فيها، حتى امتن العلماء لجهوده العلمية المتميزة التي أحاطت

(١) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تـج، أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ص ٧٧

(٢) م ن، ص ١٢٢

(٣) الفارسي، الحجة، تـج، مجموعة من العلماء، دار المأمون للتراث، ج ١، ص ٢٦٦هـ

(٤) م ن، ج ١، ص ١٧٩

(٥) م ن، ج ١، ص ٣٠

بأغراض المعرفة النحوية، فحللوا مقومات اجتهاداته وتوسعوا في ما أبان عنه من أفكار جديدة، وحسبك أن تنظر في كتب الأندلسيين على اختلاف توجهاتها، كأن تنظر في مخصص ابن سيده، وهمع الهوامع للسيوطي.

لقد مكنته قريحته المتوقدة أن يأتي بما لم يأت به الأوائل، حتى قال الناس الفارسي أبصر بالنحو بعد سيويه (ت ١٨٠ هـ)، وبالغوا القول حين شهد أكابر بغداد أن سيويه لو عاش إلى زمانه لاحتاج إلى علمه^(١).

ويتميز الفارسي عن أقرانه من فقهاء العربية وفلاسفتها بما خلفه من نفائس تمثلت في صناعة الرجال والعلماء الذين ورثوا علمه، أشهرهم على الإطلاق ابن جني وعبد القاهر الجرجاني إضافة إلى ذخر فيما تركه للمكتبة العربية من كتب، أشهرها على الإطلاق كتابه الحجة^(٢) وكتابه الحلبيات^(٣) وفيهما صاغ المناهج التي بها يبحث علم العربية، وهي مناهج لا تنأى عما توصل إليه الدرس اللساني.

والحقيقة أن الفضل فيما عناه الفارسي راجع إلى استيعابه علوم السابقين، وحسن الإفادة منها، فقد شهد له تلميذه بغزارة مذهب في البحث، كيف لا يكون كذلك وقد ورث علم أصحابه البصريين جميعاً^(٤).

وأشارت بعض المراجع القديمة التي اهتمت بهذه الشخصية العلمية الفذة إلى جديد ما جادت به في مجال التنظير النحوي، وأكدت على تفرداها في ترقية صناعة الإعراب^(٥)، وتجاوز بعضهم هذا التوصيف حين اعتبروا أعمال الفارسي بشموليتها وتميزها مدرسة لغوية لها قدم راسخة في بناء الدرس اللغوي العربي

(١) م ن، ج ١ ص ٣٢

(٢) وهو كتاب في توجيه قراءات السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد في كتابه المسمى: السبعة في القراءات.

(٣) سماه كذلك تيمناً بحلب التي صاحب فيها أميرها سيف الدولة وكانت حاضرة العلم في زمانه.

(٤) الخصائص، نخ النجار، الكتاب العربي، ج ١ ص ٢٧٦

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، نخ إحسان عباس، الغرب الإسلامي، بيروت، ج ٧ ص ٢٣٢

عامة، وتقوم صروحها على:

** الاستعانة بأدوات التنظير العقلي، فنشطت في تطبيق أضرب القياس، حتى نعتها بعض الباحثين بأنها المدرسة القياسية في النحو العربي^(١)، وهي في مجمل ما قدمته إعلاءً للواء المنطق واحتفاءً بسلطان العقل، وقد مكن الفارسي لمذاهبها^(٢)، وتركها منارة علمية شهد المحدثون بصلاحية منهجها وسلامة طرائق بحثها.

** تأسيس مدرسة تعليمية:

قد يكون هذا التفصيل من باب المجاوزة التاريخية والفكرية، إذ يعتقد بعضهم أنه لم يعهد في تاريخ النحو العربي مدرسة تعليمية تنسب إلى الفارسي، غير أن طوافه في البلدان الإسلامية مدرسا قد مكنه من بعث مدرسة تعليمية خرجت علماء عظام أشهرهم ابن جنبي و الربيعي والجرجاني، وامتد قبسها إلى المتأخرين كالعكبري (ت ٦١٦هـ) وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٥هـ) وغيرهم من علماء العربية ممن كان على بحر علمه من الواردين ومن جليل كتبه من اللاقطين وجميعهم ينهل من صاف معينه ويستقي من عذب مورده.

والحق أن هذه المدرسة التعليمية التي أقامها الفارسي إنما خطط هيكلها و سطر مضامينها في مؤلفه الإيضاح.

وتبني قواعد هذه المدرسة التعليمية على مبادئ تشبه ما نهجه البيداغوجيون في ضبط برنامجها وطرائق التحصيل فيها، غير أنها لا تخرج عن إتقان اللسان العربي وحفظه من شؤم اللحن.

ب- مؤلفه في التيسير النحوي:

أثرى الفارسي المكتبة العربية بكتب مهمة تجاوزت الأربعين معظمها دروس ومحاضرات علمية ألقاها في البلدان التي ارتحل إليها، فسميت باسمها وهذا

(١) د. أنيس إبراهيم، أسرار اللغة، الأنجلو المصرية، ص ٦٥

(٢) د. عبد العال سالم مكرم، المدرسة النحوية في مصر والشام في ق: ٧-٨هـ، دار الشروق، ص ٨٢

جديد آخر في تسمية المؤلفات كالحلبيات تيمنا بحلب - عاصمة الحمدانيين -
والشيرازيات والأهوازيات ببلاد فارس والبغداديات والبصريات بالعراق وغيرها .

ولقد اجتلبت الخطوة لأبي علي مرتين :

أ- مرة في كثرة مؤلفاته، وكثرة تلاميذه الذين أصبح لهم ذكر في الزمان ولهم
صولات علمية، وقد اعترفوا صراحة بالتلمذ على يد الفارسي، نذكر منهم
الجوهرى (ت ٣٩٣هـ) صاحب معجم الصحاح والمرزوقي (ت ٤٢٥هـ)، صاحب
شرح الحماسة والسيرافي صاحب تفسير كتاب سيبويه .

ب- مرة أخرى في جديد آرائه النحوية التي أصلحت ما أغفله الشيوخ
وصححت مواطن الغلط ونهت على مواضع السهو، وقدمت البدائل النافعة .

وأكثر ما تجلت تلك البدائل في دعوات إلى إعادة صياغة الأبواب النحوية
ضمن إطار علمي يلهم بالواقع الفكري المحدث الذي ينفر من كثرة الاستطرادات
ويتجنب الحشو والإغماض، ويهرب من الإغراق في اصطلياد الأوجه النحوية
الممكنة وغير الجائزة .

وتلمس هذا الصنيع في مؤلف شهير شغل العلماء والدارسين لقرون طوال
حتى زاد الشارحون له ما يقرب من ثلاثين شارحا، وذلك لإمامه بالقواعد النحوية
والصرفية ويعرف بالإيضاح العضدي (١) .

١- التعريف بكتاب الإيضاح :

هو كتاب صغير الحجم لا يتجاوز مئتي ورقة، خصصه الفارسي لبسط أحكام
النحو استقراء من كلام العرب، ورتبه على شكل قواعد نحوية ميسرة سهلة الفهم
قريبة المأخذ، سريعة المذاكرة ونسجه الفارسي خصيصا لأسرة عضد الدولة وأبنائها .
والكتاب على طلاقة اسمه هو التبيين والتسهيل، وهذا الكتاب على إجازته

(١) نسبة إلى الخليفة عضد الدولة .

واختصاره نال إعجاب العلماء، فهو كتاب تعليمي، ولكن حظه في الانتشار كحظوظ الناس يصيبه ما يصيبهم من ذبوع وخمول. وهذا الكتاب يوفي على كبار الكتب التي من جنسه في حسن الصياغة ووضوح العبارة حتى كني الفارسي بكتاب الإيضاح دون غيره^(١).

ولعل تلميذه الجرجاني قد استوعب مؤثرات ذلك الزمان في سبب تأليف المختصرات، فأحالنا على عامل مشترك في علة كتابته للدلائل، وعلة كتابة شيخه للإيضاح، إذ عرف داء الأفراد في زهدهم تعلم النحو^(٢)، وما أشبه اليوم بالبارحة. ٢- التعريف بكتابه التكملة:

هو الجزء الموالي من الإيضاح العضدي، وسماه كذلك لأنه ختم به ما بدأه في الأول، ولا يصح التعليم فيه شرط موافاته للآخر، وقد وعى الفرق المعرفي والمنهجي بين الجزأين، ولكن في مسعى تكاملي، حيث خصصه للمسائل الصرفية^(٣)، فاستقل الكتاب بهذه المسائل ولم يتعرض فيه لقضايا النحو إلا في جانب يسير وبإشارات عارضة من باب الاستدلال على صحة توجيهاته.

والذي يوفق للاطلاع في الجزأين يستنتج طرحا علميا مفيدا يتمثل في معرفة الفارسي الغرض الذي هو بصدد التأليف فيه وهو ما تعنيه اللسانيات بالتركيب (Syntaxe)، وهو أول من اهتدى إلى تعريفه ونقله العلماء عنه، قال: "علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب"^(٤)، ولكن هو نوعان من حيث التصنيف:

* تغيير يلحق أواخر الكلم باختلاف العوامل وهو ما يسمى الإعراب، ويقصد به القواعد النحوية (Grammaire)، وقد ضمنه كتابه الإيضاح.

(١) ابن الأثير، الكامل، المطبعة الأميرية، ج ٩ ص ١٩

(٢) دلائل الإعجاز، طبعة م-و-ف-م الجزائر، ص ٤٣

(٣) التكملة، تح بحر المرجان، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ص ٢٥٤

(٤) م ن، ص ١٨١

* تغيير يلحق أنفـس الكـلم و ذواتها وهو ما يعرف بعلم الصرف " Morphologie " ،
و قد جمعه في كتابه الثاني " التكملة " .

وهذا التنوع في التقسيم المنهجي الذي أدركه الدرس اللغوي العربي القديم موافق لما نهجه البحث اللساني، حيث فصل الحديث في مستويات التحليل اللساني الذي يتمفصل إلى أربعة جوانب :

- المستوى الصوتي .
- المستوى الصرفي .
- المستوى النحوي .
- المستوى التركيبي .

٢- منهج الفارسي في التيسير النحوي :

لقد ابتكر علماء العربية مناهج لغوية تيسر لهم سبل البحث، وتشرع لهم واجب العمل بها، وهي على حد تفصيل أحد الأصوليين المحدثين أصول النظر العلمي العربي، وقد تراوحت بين الموضوعية والذاتية، أو بين المنهجين: المنهج المعياري والمنهج الوصفي، حيث يناظر المنهج الوصفي في تطبيقاته منهج النقل العربي، بينما تمثل مسالك المعيارية التعليل والقياس (٢) .

ينطلق منهج السماع في بسط آلياته الإجرائية مما دلت عليه خطوات المنهج الوصفي، من حيث :

* جمع المادة اللغوية .

* عدم الخلط بين مستويات التحليل اللغوي .

* تحديد البيئة الزمانية والمكانية للمادة اللغوية المدروسة (٣) .

(١) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، منشأة الإسكندرية، ص ٣٢

(٢) د. رشيد حلمي، بين منهج السماع والوصفي الغربي، مجلة اللسانيات واللغة العربية، منشورات جامعة

عنابة، ٢٤ ص ٣٦٤

هذه أبرز قواعد المنهج الوصفي في تحليل الظاهرة اللسانية، وقد ارتبط بالمنهج البنوي ارتباطا وثيقا، وتطورت أفكاره في دراسة اللغة، وتشعبت اتجاهاته. ولعل من المفيد التوكيد على أن سمات المنهج البنوي لم تكن غائبة عن الدرس اللغوي العربي، فقد اهتدى سيبويه إلى بعض أدواته وعول عليها في بناء المادة اللغوية عامة والنحوية خاصة في كتابه المشهور الذي يعتبر أول موسوعة لغوية عربية رتب بشكل ينم على صواب منهجه وريادته في هذا المجال^(١)، سواء على مستوى الأصوات أم الصرف أم النحو.

وامتد العمل بأصول هذا المنهج العلماء من بعده - ورثة علمه وطريقته - فقد نهض الفارسي محتذيا طريقة شيخه حتى أجادها وتفوق فيها حتى قال ابن عربي: هذا النحو ما علمت من أحد أحاط به إلا سيبويه والفراسي^(٢).

توسل أبو علي بالكليات من المنهج البنوي - تجاوزا في الاصطلاح - في ضبط القواعد النحوية بما يتلاءم مع الذوق البياني العربي وبما يسهل على المتلقين توظيفها في تقويم الدرس النحوي. ومن ثمة كان تأكيدنا على أمرين:

* إن محاولة إصلاح الدرس النحوي العربي كانت قائمة منذ عهود قديمة، وإن فكرة التيسير النحوي ليست جديدة في تاريخ العربية، وليست وليدة صيحات أتباع المنهج الظاهري، أو الوصفيين من طلاب فيرث Firth الانجليزي، بل هي قديمة قدم الدرس النحوي وممتدة الجذور في أعماقه منذ نهاية القرن الثاني للهجرة، وما مختصر الجرمي (ت ٢٢٥هـ) إلا برهان قاطع على سلامة الرؤيا وقد احتفى الفارسي به إذ أكد: إن من يشتغل بمختصر الجرمي إلا صارت له بالنحو صناعة^(٣).

(١) نور زاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه منشورات جامعة قار يونس-ليبيا، ص ٨٣

(٢) عمار طالبي، آراء ابن عربي، ش-و-ن-ش-ت-الجزائر، ج ٢ ص ٤٩٨

(٣) ابن الأنباري، نزهة الألباء، تح أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأندلس، بغداد، ص ١٠١

يعتبر عصرنا عصر البدائل المعرفية والمنهجية في تتبع القضايا العلمية وإعادة قراءتها، ويمثل المنهج البنوي أعز تلك البدائل المنهجية الذي ساد الدراسات اللسانية في مستوياتها المختلفة، ومن ثمة حري أن نقارب ما نص عليه هذا المنهج وما حرره الفارسي من آراء تناسب قواعده، وتوافق ما حث عليه الوصفيون في دعواهم إلى إصلاح النحو وتسهيل موضوعاته.

أ- ضوابط منهجه في التيسير النحوي:

حين تبصر في اجتهادات الفارسي النحوية تدرك أنه قبل أن يبسط الحديث في مسائل التنظير شرع لعمله سبلا تسهل على المتعلمين من بعده أن يتناولوا تراكيب العربية وفق ما تدفع به مستجدات العصور من تناسل جديد للغة، وأكثر ما سطره من توجيهات تيسيرية في أبواب النحو، قد أنشأها على منهج التسهيل، وهو منهج تتقاطع فيه مواصفات الأصالة، باعتبار مفاهيمه مستخلصة من بيئة القراء والمحدثين والفقهاء، أي من حاضر الثقافة الإسلامية التي عولت في أصولها الأولى على التناهي في التهوين على أخذ كليات الدين التي تقوم على:

- أسبقية مبدأ الممارسة

- صلاحية قانون التخفيف

كما يتقاطع هذان الأصلان مع مواصفات الحداثة، إذ ركزت البنويه على تقديم الاستعمال الفعلي للسان أي كما تتجلى ظواهره، ومنها ظاهرة قانون الاقتصاد في الاستخدام، وهما من الكليات التي تعرفها الألسن.

تعد قاعدتا الاستعمال والاستخفاف من المرتكزات التي واجه بها الفارسي تصحيح القواعد النحوية بما ينسجم وحال الجيل العربي الجديد الذي بدأت نحيزته تتدحرج إلى الضعف والإسفاف، ومن أصول هذين القاعدتين نبرز أهم الضوابط الجديدة التي أثار بها الفارسي عمله في التيسير النحوي.

١- القول بمبدإ السلب : Antonyme

هذه قاعدة لغوية أصولية تهتم بظاهر اللفظ وتعني ببنيته الشكلية، حيث تحلل المبني إذا حدث فيه زيادة صرفية قبلية Prefixe، من نحو إضافة وحدة صرفية Lexeme، أو تضعيف في الوحدة الفونيمية الوسطية، فينشأ عنها تحول في صيغة البنية يتبعه تحول دلالي من المعنى الوضعي الأصلي إلى المعنى السلبي (المخالف).

هذا المفهوم اللغوي القديم في بنية الكلم، لم تخرج المدرسة الوظيفية عن مفهومه، فعنيت بتحليل الوحدات الفونولوجية التي تبرز المغايرة المعنوية، ويصطلح على تسميته بـ: "الوظيفة التمييزية" ومدلولها؛ لا يؤدي الفونيم تلك الوظيفة إلا إذا كان مغايرا لفونيم آخر^(١) ويطلق عليه Antonyme^(٢).

ذاك المبدأ "البنوي" المرسخ في تراث الفارسي ذلل لنا ابن جني غامضه، وأحالنا على ابتكار لم ينسبه إلا لأستاذه^(٣)، وبسط القول في شرحه والتمثيل له، من ذلك قوله: الأصل في ما وضع من كلام العرب الإثبات وإذا عمدوا إلى النفي استعملوا أدوات دالة عليه، ثم بين أن العرب نزعت إلى التخفيف، فأسقطت الوسائل اللغوية المؤدية للنفي بزيادة وحدات فونولوجية في شكل الكلم، ومثاله: -زيادة الهمزة: شكوته وأشكيتته أزلت شكواه، ومنه باللغة الفرنسية:

charger-decharger أي ملاه وأفرغه

- تضعيف الوسط: نحو مرض ومرضته (بتضعيف الراء)، أي داويته من مرضه^(٤).

٢- القول بمبدإ الاستحسان:

يقصد بالاستحسان قبول الظاهرة النحوية في الاستعمال رغم عدم انسجامها

(١) مشال زكريا الألسنية، (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية، ص ٢٣٧

(2) An tonyme, un mot qui a un sens oppose a celui d un autre

(٣) الخصائص، ج ٣، ص ٧٥

(٤) م ن، ج ٣، ص ٧٦

مع ضوابط القاعدة، ويطلق عليها بالفرنسية Acceptabilité^(١)، وتتعلق هذه القاعدة بوظيفة الأداء للكلم ضمن عناصر الجملة من حيث التفريق البنوي، نحو التمييز الصرفي بين الصفة والاسم، وهذا مما توصل إليه الفارسي، قال ابن جنبي: هذه مطاولة غير مسبوقه قد فتح الفارسي بابها وشرع منهجها^(٢).

ومن التمثيل البنوي ما نذكره في ما قرأ نافع ﴿ فنظرة إلى ميسرة ﴾^(٣) بضم السين والهاء وغيره بفتح السين وتنوين التاء، شذوها النحويون بدءاً من سيبويه^(٤) وقال الأخفش: ليست جائزة^(٥) وتبعه الزجاج^(٦)، وقال عنها العكبري: قرئ بضم السين وجعل الهاء ضميراً وهو بناء شاذ^(٧).

الحق، لا يمكن رد قراءة جاءت على لسان أحد الأئمة الكبار، إضافة أنها وردت على لهجة الحضرمي من الحجازيين، ومن ثمة استحسناها الفارسي وقدم بين أيدي النحاة نماذج بنوية معروفة فصيحة مثل المسرّب، والمشرّق، وأضاف ابن جنبي المقدّمه والمقبره والمقنوة^(٨).

وهكذا سطر الفارسي قاعدة تخفيف في الصرف انطلاقاً من مبدأ الاستحسان، ومن هنا صح بناء مفعّل فنصيغ منه مشجر ومغرس في علم الزراعة.
ب- تمثيلات لتيسيره النحوي :

ليست الغاية من هذا العمل استقصاء كل آثار الفارسي في التيسير، وأقوم

(١) وتعني قبول الظاهرة اللغوية حتى ولو لم تكن مقيسة.

(٢) الخصائص، ج ١ ص ٢٠٨

(٣) البقرة/ ٢٨٠

(٤) سيبويه، الكتاب، فتح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ج ٢ ص ٢٤٧

(٥) الأخفش، معاني القرآن، فتح هدى قراءة، م- الخانجي، ج ١ ص ٢٠٤

(٦) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، فتح، شلبي عبده، عالم الكتب، ج ١ ص ٢٩٦

(٧) التبيان في إعراب القرآن، فتح، علي الجاوي، دار الجيل، ج ١، ص ٢٢٥

(٨) ابن جنبي المحتسب، فتح، مجموعة من العلماء، م-أ-ش- الإسلامية، ج ١ ص ١٤٤

بتحليلها أو تصفية ما طرحه من اجتهادات ثم أنزلها للتقويم، وذلك راجع إلى :

* كثرة مؤلفات الفارسي في اللغة والنحو

* تعسر دراسة كل تلك الأفكار في عمل إفرادي، وإنما يحتاج إلى عمل فرق،

ولكن جئت ببعض النماذج في مستويين مختلفين :

أ- المستوى الصرفي : وذكرت نوعين، نوع في الاسم، وآخر في الفعل .

١- بناء الجمع السالم الصحيح :

ويطلق عليه الجمع الصحيح ويتميز بنهاية شكلية تميزه عن مفرده، وهو نوعان :

* جمع مذكر سالم، وعلامته رفعا زيادة الواو في مفرده، وكسرا ونصبا قلب

الواو ياء .

* جمع المؤنث السالم، وعلامته زيادة الألف والتاء على مفرده .

قال سيبويه منظرا : هذا الجمع - بقسميه - يعد من جموع القلة التي تصدق على

عدد محدود من ثلاثة إلى عشرة فقط^(١)، ورد الفارسي صحة ما قاله الشيخ، نافيا

أن يأتي تحديد الجامع السالم للدلالة القلة، ورفض قصره عليها، واستعان على

صحة مذهبه بالكلام المعجز من جهة وبنظم الشعر. أما من الأول، قوله تعالى ﴿ إِنَّ

المسلمينَ والمسلمات... ﴾^(٢) إن الغرض في جميعه الكثرة لا ما هو لما بين

الثلاثة إلى العشرة، ومن الثاني، فقد ذكر ابن جنبي أن أبو علي أنكر الحكاية المروية

عن النابغة، وقد عرض عليه حسان شعره، وأنه لما صار إلى قوله : [طويل]

لنا الجفناتُ الغرُ يلمعنَ ضُحى وأسيافنا يقظرنَ من نَجدة دما

قال له النابغة : لقد قلت جفانك وسيوفك، قال أبو علي : هذا خبر مجهول لا

أصل له ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وهم في الغُرُفات آمنون ﴾^(٣)، ولا يجوز أن

(١) الكتاب، ج ٣ ص ٤٩١

(٢) الاحزاب / ٣٥

(٣) سبا / ٣٧

تكون الغرف التي في اللجنة من الثلاث إلى العشر^(١)، وتبع أبو علي في هذا التقويم كثير من النحاة - وفي مقدمتهم الرضي - الذين يرون أن الجمع السالم يأتي للقلة وللكثرة، ونعتقد أن مجيئه للكثرة أولى، كما أن جمع المؤنث صحت صياغته من الخماسي الذي لم يعرف جمعه مثل إسطبيل إسطبيلات، وفكرة التقويم والتيسير هذه نستخلص منها أمرين:

- إسقاط فكرة القلة عن الجمعين

- استخدام لفظ جمع المؤنث السالم في التقنيات مثل هرمون، هرمونات إلكترونيكترونات، تراكم تراكمات^(٢).

٢- التغيرات الصوتية في عين المضارع:

إن الإحلال الحركي متميز في وسط أفعال وردت في لهجات العرب، وانتقلت إلى النص القرآني وحدثت عن خصيصة التسهيل في نطقها، ورأى بعض الباحثين أن هذا الاختلاف الصوتي في بنية الأفعال إنما راجع إلى قانون التطور اللغوي الذي انخلعت له أبنية العربية^(٣)، ومثل هذه المسألة وإن حوت جانبا صوتيا، إلا أنها تتعلق بالبنية الصرفية المتحولة لأفعال صيغت للحاضر، وقد تتجلى كتابة مشكّلة، مما يعطي للمتلقي فرصة التصحيح، ويصعب الأمر عند المشاهدة، ذلك أن حركة المضارع لا تظهر إلا نطقا. وقد وصف الفارسي هذا التناوب الحركي في نطق المضارع الذي قرىء بصورتين، ومثاله قوله تعالى ﴿يعرشون﴾ ﴿يعكفون﴾^(٤) وقوله تعالى ﴿لم يقتروا﴾^(٥) بحزكتي الضم والكسر في وسطها^(٦)، وأعاد

(١) الحجة، ج ٦، ص ٢٢، والمحتسب، ج ١ ص ١٨٦

(٢) شوقي ضيف تيسيرات نحوية، دار المعارف، ص ٥٦

(٣) برجستراسر، التطور النحوي للعربية، علق عليه رمضان عبد التواب، م-الخانجي، ص ٦٩

(٤) الاعراف/ ١٣٧

(٥) الفرقان/ ٦٧

(٦) بكسر الوسط قرأ حمزة والكسائي والباقون بضمه، ينظر ابن مجاهد، السبعة في القراءات، دار المعارف،

الفارسي هذا الاختلاف السوري في الأداء إلى طبائع المتكلمين العرب الذين وردت قراءات قرآنية شهيرة موافقة للهجاتهم، تيسيرا للعربية وللناطقين بها عربا وعجماء. وقد سطر الفارسي هذا التوجيه من مسح لغوي قام به أستاذه الراوي الشهير أبو زيد الذي قال: طفت عالية قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن هذا الباب صغيرهم وكبيرهم لأعرف ما كان منه بالضم أولى، وما كان بالكسر أولى، فلم أجد لذلك قياسا، وإنما يتكلم به كل امرئ منهم على ما يستحسن وما يستخف لا غير^(١).

ومن ثمة وضع الفارسي بين أيدي الناس رأيين يصلحان للتيسير:

– شكليا (بنويا)، الماضي صح مجيء مضارعه إما مضموم الوسط أو مكسوره
– واقعيًا جواز التخاطب بهذه البنية دون حرج، شرط ألا يكون وسطه أو آخره صوتا حلقيا^(٢).

ب- المستوى النحوي: وركزت فيه على قضيتين.

١- توصيف تركيب النداء

انشغل بعض الباحثين بتحديد جوهر النداء النحوي، فقد ذهب مهدي الخزومي إلى أن النداء ليس جملة فعلية ولا جملة إسنادية، واعتبر النداء مركبا لفظيا بمنزلة أسماء الأصوات يستخدم لإبلاغ المنادى حاجته^(٣)، وهذان الموقف العلمي مغاير لما جاء به أبو علي، فقد عد النداء وحدة كلامية مستقلة مكتفية بذاتها، فهو يرى أن الاسم مع الحرف يكون كلاما في النداء نحو يا زيد^(٤)، ولقي هذا التوصيف قبولا من لدن ثلثة من الباحثين المحدثين، منهم عبدالرحمن أيوب^(٥) وحماسة عبداللطيف^(٦)،

(١) السيوطي، الزهر، نخ، مجموعة من العلماء، المكتبة العصرية، بيروت، ج ٢ ص ٢٠٧

(٢) د. رشيد حليم، المنهج اللغوي في توجيه الفارسي للقراءات، دكتوراه مخطوط، ج-عناية ٢٠٠٥، ص ١٦٠

(٣) مهدي الخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ص ٣١١

(٤) الإيضاح نخ بحر المرجان، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ص ١٨٨

(٥) دراسة نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٢٧

(٦) العلامة الإعرابية في الجملة، دار غريب، القاهرة ٢٠٠١، ص ٥٣

والمؤسف عليه أن هذه الاجتهادات ظلت حبيسة الدراسات الأكاديمية فلم تأخذ طريقها بعد إلى المقررات الدراسية. وهذا من الوجهة التكنولوجية سليم، ذلك أن التواصل بالهواتف المختلفة النقالة منها هي نداء في بدئه، عبارة يصطلح عليه باللهجة الجزائرية: "عيطلك" أي ناديتك.

٢- رأي الفارسي في "غير":

غير اسم ملازم للإضافة في المعنى، ودلالاتها أن ما بعدها مغاير لما قبلها في المعنى الذي ثبت له إيجابا أو سلبا. وتأتي مجرورة، ومرفوعة، ومنصوبة، وللنحاة فيها تفصيلات مرهقة، بيد أن الجديد ما خرج الفارسي في قراءة ابن كثير ﴿غير المغضوب﴾^(١) بفتح الراء على أنها منصوبة على الحالية^(٢)، وأعترض عليه بأن الحال مشتقة و"غير" جامدة، فدلنا على مواضع للحال وردت جامدة كقوله تعالى: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾^(٣) وقول العرب أقبل زيد أسدا. قال شوقي ضيف: إعراب "غير" حالا؛ لأن الأصل فيها أن تكون صفة، والحال في واقعها صفة ولذلك عرفها ابن هشام بأنها وصف لبيان الهيئة، ومنه يجب إخراج "غير" من الاستثناء وإعرابها حالا بدله^(٤).

والملاحظة التي نضيفها هي إجازته الحالية من المضاف إليه "الذين" وهو معرفة وتبعه النحويون في هذا الرأي، قال مكِّي نصبت غير على الحال... من الذين إذ لفظهم لفظ المعرفة^(٥)، والنتيجة: "إخراج غير من باب الاستثناء وإعرابها حالا في جميع المواضع التي تدل فيها على مغايرة ما بعدها لما قبلها في الحكم.

(١) الفاتحة/٧

(٢) الحجة، ج ١ ص ١٤٢

(٣) الإسراء/٦١

(٤) تيسيرات نحوية، ص ١٢٥

(٥) مشكل إعراب القرآن، فتح، محمد النواس، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، ص ٥٣

خلاصة الحديث :

لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نتبع ميدانا يتصل بغرضين مهمين نادى بهما الحقل التعليمي، أولهما النظر في إرث السابقين مما خلفوه من نظرات علمية صائبة، وقد ركزنا على جهود الفارسي باعتباره أحد المنظرين الأوائل للدرس النحوي العربي، وحاولنا اكتشاف جديد فكره في ميدان لم تتبلور قواعده بعد، فتوصلنا إلى :

- معرفة ماترك الفارسي من مؤلفات متخصصة تصلح أن تكون أرضية لبناء نظرة في التيسير القواعدي للعربية.
- الاطلاع على جانب من منهجه في التيسير النحوي
- ذكر بعض النماذج التيسيرية للتمثيل للتمكين الدارسين التعمق في غيرها.
- الأمر الثاني: مقارنة تلك الاستنتاجات بما جد من فكر لساني، وقد عمدنا التوصل مع المنهج البنوي، وناظرنا به ما حللنا من أفكار.

المراجع

* القرآن الكريم

- ١- برواية ورش عن نافع، طبعة مركب الطباعة، الجزائر، ١٩٨٨ .
- ٢- برواية حفص عن عاصم، طبعة دار الفكر والنشر والتوزيع، بيروت، د-ت .
- ٣- د. إبراهيم أنيس، أسرار اللغة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦ .
- ٤- ابن الأثير، الكامل، المطبعة الأميرية .
- ٥- الأخفش (سعيد بن مسعدة)، معاني القرآن، تحقيق هدى محمود قراة، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٦٦ .
- ٦- ابن الانباري (عبد الرحمن بن محمد)، نزهة الألباء، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٧٠ .
- ٧- برجشتراسر، التطور النحوي للعربية، علق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ط٤، القاهرة، ٢٠٠٣ .
- ٨- ابن جنبي، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق مجموعة من العلماء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٦ .
- ٩- ابن جنبي، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الكتاب العربي، القاهرة .
- ١٠- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، منشأة الإسكندرية .
- ١١- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق، درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٢ .
- ١٢- داود عبده، دراسة نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٧٣ .
- ١٣- د. رشيد حلیم، بین منهج السماع والوصفي الغربي، مجلة اللسانيات واللغة العربية، منشورات جامعة عنابة، ٢٠٠٦ .

- ١٢- د. رشيد حليم، المنهج اللغوي في توجيه الفارسي للقراءات، دكتوراه مخطوط، ج-عناية.
- ١٣- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق، أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.
- ١٤- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق، شلبي عبده، عالم الكتب، ١٩٨٨.
- ١٥- الزجاجي، الإيضاح تحقيق بحر المرجان، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ١٩٧٩.
- ١٦- سيويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ط٣، القاهرة، ١٩٨٨.
- ١٧- السيوطي، المزهرة، تحقيق، مجموعة من العلماء، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧.
- ١٨- شوقي ضيف تيسيرات نحوية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣.
- ١٩- د. عبد العال سالم مكرم، المدرسة النحوية في مصر والشام في ق / ٧-٨ دار الشروق، ١٩٨٠.
- ٢٠- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، ١٩٧٩.
- ٢١- العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق، علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.
- ٢٢- عمار طالب، آراء ابن عربي طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر
- ٢٣- الفارسي، الحجة، تحقيق، مجموعة من العلماء، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٩٣.
- ٢٤- الفارسي، التكملة، تحقيق بحر المرجان، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ١٩٩٦.

- ٢٥- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، طبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.
- ٢٦- ابن مجاهد (أحمد بن موسى) كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف (د-ت).
- ٢٧- محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١.
- ٢٨- مكّي بن طالب، إعراب القرآن، تحقيق، محمد النواس، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠.
- ٢٩- مهدي الخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦.
- ٣٠- ميشال زكريا الألسنية، (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٨٧.
- ٣١- نور زاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة قار يونس، ليبيا.
- ٣٢- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣.